قراءة في قصيدة البردة وأبعادها الصوفية

د. منير سعدي
كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة الجزائر ـ 1 ـــ

فنّ المدائح النبوية

إن فنّ المديح النبوي جزء أصيل من تيّار الزهد في تاريخ الشعر العربي القديم، وهو فنّ مِنَ الفنون الشعريّة التي أذاعها التّصوّف، ولونٌ مِنْ ألوان التعبير عن العواطف الدّينيّة الصادقة، وباب مِنْ الأدب الذي لا يصدر إلَّا عن قلوبٍ مفعمة بالمحبّة والودّ والشوق والصّدق والإخلاص.

وأكثر المدائح النبويّة قيلت بعد وفاة الرسول ﷺ وما يقالُ بعد الوفاة يسمّى رثاء، ولكنّه في الرسول يسمّى مدحا، ومردّ ذلك إلى رؤية الشعراء إلى الرسول ﷺ على أنّه موصول الحياة، وأنّهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء.

يمكن القول إنّ الثناء على الميّت لا يسمّى رثاءً، إلَّا إذا قيل في أعقاب الموت، ولذلك نراهم يقولون: «قال حسّان يرثي النّبي»، ليفرِّقُوا بين حالين مِنَ الثناء: (ما كان في حياة الرسول)، و(ما كان بعد موته)، بخلافِ ما يقع مِنْ شاعرٍ وُلِدَ بعد وفاة النّبي، فإنّ ثناءه مديحٌ، لا رِثَاءٌ، لأنّ الرثاء يُقصدُ به إظهار الحزن والتّفجّع، بينما لا يُرَادُ بالمدائح النبويّة إلَّا التّقرّب إلى الله بنشر محاسن الدِّينِ والثناء على شمائل الرسول(1).

(1) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، (ص/ 17)؛ عبد الله أحمد جاجة، العمدة في إعراب البردة، (ص/ 28)؛ محمّد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، (ص/ 31).

ومِنْ أقدم مَا مُدح بــه النبيّ قصيدة الأعشى التي يقول فيها[1]: [الطويل]

أَلَـمْ تـغـتـمضْ عيـنـاك لـيـلــة أرمــدا   وبِـتَّ كـمـا بَـاتَ السلـيـمُ مُسَهّـدا
ومــا ذاك مِــنْ عـشْـقِ الـنّـسـاء وإنّـمـا   تـنـاسيـتُ قـبـل اليـوم خـلّـة مهددا

إلى أنْ يقول[2]: [الطويل]

نـبــيّ يــرى مـــا لا تــرونَ وذكـــره   أغــارَ لَـعَمْـرِي فـي البـلادِ وأنجـدا
لـــه صَـدَقــاتٌ مـــا تــغــبُّ ونــائِــلٌ   وليس عـطـاء الـيـوم يـمـنـعُـهُ غَــدا

ثمّ تلاه في ذلك الشاعر كعب بن زهير في قصيدته الشهيرة (بانت سعاد)، والتي تسمّى أيضا بالبردة، والتي قالها في مدح الرسول ﷺ جاءه تائبا، يرجو عفوه ورحمته، وهي مِنَ الشعر المحكم الرصين، تجري على التقاليد الأدبية لشعراء الجاهليّة، ومطلعها[3]: [البسيط]

بــانــتْ سعادُ فقلبـي الـيوم متبـول   مُـتـيَّـــم إثـرها لــم يــفــدَ مَـكـبـول

ويقول فيها مادحًا الرسول ﷺ[4]: [البسيط]

نُـبِّـئْــتُ أنّ رسـولَ الله أوعـدنـــي   والـعفـوُ عـنـد رسـولِ الله مَـأمُـولُ
مَـهْـلًا هـداك الـذي أعطاكَ نافلـة   القـرآنِ فـيهـا مَواعيــظ وتفصيـــلُ

(1) ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمّد محمّد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، (ص/ 17).

(2) المرجع نفسه، (ص/ 17).

(3) ديوان كعب بن زهير، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1987م)، (ص/ 6).

(4) المرجع نفسه، (ص/ 6).

لا تأخذنّـي بأقـوال الـوشـاة ولـمْ   أذنـبْ وإنْ كثُـرتْ فِـيَّ الأقاويــلُ

إنّ الـرَّسـولَ لَـنُـورٌ يُـسْـتَـضاءُ بــهِ   مُـهـنَّـدٌ مِــنْ سُـيـوفِ اللهِ مـسـلـولُ

ويستبعد الدكتور زكي مبارك أنْ تكون هاتان القصيدتان مِنْ شعر المديح النبوي، ويعلّل ذلك باختلافِ دوافع نظمهما لدى الشاعرين السابقين: (الأعشى) و(كعب بن زهير)، عن دوافع غيرهما مِنْ شعراء هذا الغرض.

إضافة إلى أنّ شعراء المدائح النبويّة كانوا يصدرون في مديحهم عن حبّ صادق وإخلاص واضح للرسول ﷺ، ورغبة ملحّة في مدحه، ولم يكن شيء من هذا باعثا مِنَ البواعث التي حملت الأعشى على نظم قصيدته، وإنّما نظمها سعيا وراء التَّـكَسُّب، كما لم يكن شيء من الحبّ والإخلاص الذي دفع كعبا على نظم قصيدته، وإنّما حرصا على النجاة[1].

بعد ذلك ظهرت كوكبة من شعراء صدر الإسلام، نظموا قصائد في مدح الرسول ﷺ، وفي المنافحة عنه وعن دعوته، والحثّ على اتّباعه ونصرته، ومناهضة المشركين،

ويتقدّم هؤلاء جميعا حسّان بن ثابت، الذي كان يمدحُ الرسول ويقارع أعداءه وأعداء دعوته على نهج القصيدة الجاهلية، ومِنْ بين أفضل ما مدح به الرسول وأصحابه وقارع بها أعداءه مِنَ المشركين، العينيّة التي مطلعها[2]:[البسيط]

إنّ الذَّوائِبَ مِـنْ فِـهـرٍ وإخوتِـهـم   قَــد بـيَّـنُـوا سـنَّــة لـلـنّـاس تُـتَّـبَــعُ

وفيها قوله في مدحِ أصحابه[3]: [البسيط]

إنْ كان في النّاس سبَّـاقـون بعدهم   فكلّ سبْـقٍ لأدنــــى سبْـقِهم تَـبَــعُ

(1) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، ص 22 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(3) ديوان حسان بن ثابت، شرح عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (1994م)، (ص/ 238).

لا يـفـخــرون إذا نــالــوا عـدوَّهُـمُ وإنْ أُصيبـوا فـلا خَـوَرٌ ولا جَـزَعُ
أَكْـرِمْ بـقَـوْمٍ رسـولُ الله قـائـدهــم إذا تَـفَاوَتَـتِ الأهْـواءُ والـشّـيَـعُ[1]

والواقع أنّ هذه المدائح كانت في ابتداء أمرها تجري على الطرائق الجاهلية، ثمّ انتهى بها المطاف إلى فـنٍّ أدبـيٍّ رفيـعٍ، عُرف باسم فـنّ (البديعيات)[2]، الذي نشر بين الناس ألوانا مِنَ الثقافة الأدبية[3]؛ وشاع فيما بعد، النظم في هذا الغرض، ولعلّ مِنْ أبرز مَنْ سجَّل اسمه في هذا الباب الشاعر الصوفي عمر ابن الفارض (632 هـ) الذي نظم مجموعة مِنَ المدائح النبويّة الشهيرة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الفنّ لَـمْ يقتصرْ على البيئات الصوفية وحدها، وإنّما اهتمّ بـه عدد لا بأس به مِنَ الشعراء مِنْ غير المُتصوّفة.

وعلى هذا النهج ذاع هذا الفنّ، وانتشر انتشارًا واسعًا في عصر البوصيري (العصر المملوكي)، الذين فاقتْ قصائدهم (البديعية)[4] سائر العصور، كما يتّضح ذلك جليّا في مجموع شعر ديوان المدائح النبويّة في هذا العصر.

---

(1) المرجع نفسه، (ص/ 238).

(2) (البديع) هو: «علم يعرف به وجوهٌ تفيدُ الحُسْنَ في الكلامِ بَعْدَ رعايةِ المطابقةِ لِـمقتضى الحالِ ووضوحِ الدلالة على المرام»؛ انظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.د.ت، (6/ 4)؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، (1/ 232)؛ إنعام فوّال عكاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (1996م)، (ص/ 256).

(3) محمّد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، قدّم له وضبط أشعاره ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (2003م)، (ص/ 31).

(4) انظر: قصائد (البديعيات) في مدح النبي ﷺ في: حاجي خليفة، كشف الظنون، (1/ 233 ـ 235).

قصيدة البردة

إنّ شعرَ المديح النبوي صار زينة المحافل المولدية في البلدان العربية والإسلامية منذ قرون، وإلى أيامنا هذه، إذ نراه قد اِسْتَوَى على سُوقِهِ، وأصبح غرضا بحدِّ ذاتِهِ، له معجمه وعاطفته وصُوَرُهُ، وفَنًّا له خصائصه وقواعده وأصوله.

ويكاد يُجمِعُ معظم الدارسين المشتغلين بِتأْرِيخِ مسيرة حركة الشعر العربيّ على أنّ الإمام البوصيري يُعُدُّ في مقدّمة الشعراء نهوضا بفنِّ المديح النّبوي، ومن أكثرهم وفاءً لخصائص منهجه، وسمات صنعته، ويستشهدون على ذلك بما نظمه مِنْ قصائد في هذا الفنّ؛ وتأتي قصيدته الشهيرة (**البردة**) في الطليعة، مِنْ حيث سمُوُّ المعاني، وصدق المشاعر، وحرارة الانفعال، وشرف المقصد.

وقد حظيت هذه القصيدة بمكانة جليلة، وشهرة بين الناس، فَذَاعَ صيْتُها في الآفاق شرقا وغربا، وحفظها العامُّ والخاصُّ، وتَغَنَّى بها الناسُ في المولد والأذكار وشتَّى المناسبات، بل دخلت البيوت والمساجد، حتى الجامعات[1]، وأخذت بذلك مكانة متميّزة في تاريخ الأدب العربيّ، بل العالميّ، إذ طُبعت مرَّات عدَّة[2].

ولأهميَّتها ترجمت إلى لغات عالمية كثيرة[3].

---

(1) يقول زكي مبارك في: المدائح النبويّة، (ص/ 164): «إنّ الأزهر كان يسدّ دروس التاريخ الإسلامي، باعتماد البردة وشروحها، كما كان يتخيّر يَوْمَيْ الخميس والجمعة لدراسة حاشية الباجوري على متن البردة».

(2) يذكر زكي مبارك في: المدائح النبويّة، (ص/ 162) أنّ من أدلة ذيوع البردة تعدّد طبعاتها، فقد طبعت في فيينا، و(الأستانة) بـ(تركيا)، و(مكة،) و(بغداد)، و(دمشق)، و(المغرب)، وطبعت في (القاهرة) نحو خمسين مرة.

(3) ترجمها إلى اللغة الألمانية المستشرق (رولفس) عام (1825م)، وإلى الإنجليزية (رد هاوس) عام (1894م)، وترجمها إلى الفرنسية مع شرحها المستشرق (دي ساسي) عام (1822م)، كما ترجمها

لقد كان لذيوع هذه القصيدة وانتشارها بين الناس على نطاق واسع، وإقبالهم على حفظها وإنشادها ودراستها، الأثر البالغ في الحقل الأدبيّ واللغويّ، فقد توالى مواكب الشُّرّاح والشعراء على دراستها، وهَامَ بها أهل التّصوّف في التنقيب في معانيها، فشُرحت عشرات المرّات، وشُطّرت، وخُمّست، وسُبّعت، وضُمّنت، وعُورضت، ونُظّمت القصائد على نهجها، بل وغَلَوْا فيها حتّى جعل بعضهم لأبياتها بركة خاصّة، بل ذكر بعض شُرّاحها أنّ لكلّ مِنْ أبياتها فائدة، فبعضها أمانٌ مِنَ الفقر، وبعضها أمانٌ مِنَ الطاعون![1].

كما أُسند إليها مِنَ المناقب والفضائل ما لا يقع تحت الحصر، بل ما تزال عند بعض الناس مِنَ الأوراد التي تُقرأ في الصباح والمساء في هيبةٍ وخشوع ![2]، وازدادتْ شهرتها إلى أنْ صارَ الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد[3].

لقد كان **لِلْبُرْدَةِ** الأثر الواضح المعالم، فالناس لم يحفظوا قصيدة مطولة كما حفظت **(البردة)**، بل اعتبرها البعض وسيلة من وسائل التّقرب إلى الله وإلى الرسول ﷺ ومِنْ أدلّـة ذيوعها وانتشارها بين الناس: ما نلحظه من تعدّد طبعاتها وشرّاحها لحدِّ الآنَ،

=المستشرق الفرنسي الآخر (باسيه)؛ وطبعت بـ(قازان) الروسية عام (1849م)؛ وتعتبر ترجمة (البردة) إلى اللغة اللَّاتينية التي نشرها المستشرق (أوري) في لندن عام (1761م) أولى الترجمات إلى اللغات الأوربية؛ انظر: محمّد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، (ص/ 357)؛ رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، (ص/ 11).

(1) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، (ص/ 142)؛ عبد الله جاجة، العمدة في إعراب البردة، (ص/ 17)؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، (2/ 1331)؛ محمّد كامل عبد العظيم، طراز البردة، فصل: أثر البردة الحسّي والمعنوي، (ص/ 56).

(2) المرجع السابق نفسه، (ص/ 142).

(3) مقدمة ديوان البوصيري، (ص/ 30).

بل إنّ دار الكتب المصرية تحتفظ بنسخة منها محلَّاة بالذهب، كما يصنع المتفنِّنُون وأصحاب المطابع بنسخ المصحف الشريف[1].

انطلاقا من كلّ ما سبق، يمكن اعتبار (**البردة**) القصيدة العربية التي حظيت ـ دون غيرها - بمكانة وشهرة بين الناس، وأقبل عليها الشعراء ونهجوا نهجها، وأوسعوها شرحا وتعليقا، كما سبق وأنْ ذكرنا سلفا.

لقد كانت لهذه الأعمال العلمية والأدبية الكثيرة المتّصلة بـ(**البردة**)، أثرها البارز، ومفعولها الكبير في إثراء جملة مِنَ المعارف والمفاهيم، في حقول الدراسات اللغوية والنحوية والبيانية والبلاغية والأدبية والتاريخية، ممّا جعلها تحتلّ مكانة خاصّة، وحضورا مميّزا في ديوان الشعر العربيّ، قديما وحديثا.

بواعث نظم البردة

يمكن القول إنّ قصيدة (**البردة**) هي مِنَ القصائد العربية القليلة التي حظيت بمكانة جليلة في قلوب الناس، وانتشر صيتها في جميع ربوع العالم.

والإمام البوصيري قد نظم قصيدته في مدح الرسول ﷺ وهو تحت تأثير إصابته بداء الفالج (الشلل) الذي عطّل نصف جسمه، فنظم بردته هاته يمدح فيها الرسول ويتشفّع به، متضرّعا إلى الله، داعيا إياه أنْ يشفيه مِنْ مرضه الذي أصابه، ويُبرئه من علّته التي أقعدته بلا حراك، ولَمَّا أَتَمَّ عمله، نَامَ، فرأى فيما يرى النائم أنّ الرسول يمسحُ على وجهه بيده الشريفة -وهو يُنشد بين يديه - ثمّ ألقى عليه بردته المباركة، فاستيقظ مِنْ نومه وقد شفاه الله مِنْ علّته.

وقد تحدّث الكثير مِنَ المُصنّفين والباحثين القدامى والمحدثين عن هذه الرواية المتّصلة ببواعث نظم البوصيري بردته[2]، ويأتي في مقدمة هؤلاء المصنّفين من القدامى

(1) انظر: محمّد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، (ص/ 356).

(2) من مصادر المتقدمين كتاب: المقفى للمقريزي (تـ: 845 هـ)؛ وكتاب: المنهل الصافي لابن تغري بردي (تـ: 874 هـ)؛ أما المتأخّرين الشيخ إبراهيم الباجوري (تـ: 1277 هـ)؛ والشيخ

محمّد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة (764 هـ) الذي أثبت هذه الرواية في كتابه (**فوات الوفيات**) على لسان صاحب (**البردة**)، الذي قال: «كنتُ قد نظمتُ قصائد في مدح رسول الله، منها ما كان قد اقترحَه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير.

ثمّ اتفق أنْ أصابني فالج أبطل نصفي، ففكّرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى في أنْ يعافيني، وكرّرت إنشادها وبكيتُ ودعوتُ وتوسّلت، ونمتُ فرأيت النبي ﷺ، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة، فقمتُ وخرجتُ مِنْ بيتي، ولم أكن أعلمت أحدا، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ، فقلت: أيّها؟، فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أوّلها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ.

فرأيتُ رسولَ الله يتمايل وأعجبته، وألقى على مَنْ أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام، إلى أن اتّصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا، وهو وزير الملك الظاهر، فبعث إليَّ، وأخذها وحلف ألّا يسمعها إلّا قائما حافيا، مكشوف الرأس، وكان يُحبّ سماعها هو وأهل بيته»[1].

ويضيف حاجي خليفة في كتابه (**كشف الظنون**) سبب تسميتها بـ(**البردة**) ما يلي: «ثمَّ إنَّه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي رمد عظيم أشرف منه على العمى، فرأى في منامه قائلا يقول له: امْضِ إلى الصاحب، وخُذْ منه البردة، واجعلها على عينيك فتتعافى بإذن الله ﷻ، فأتى الصاحب، وذكر له منامه، فقال: ما عندي شيء يقال له البردة!، وإنّما عندي مديح النبيّ ﷺ أنشأها البوصيري، فنحن نستشفي بها، ثمّ نادى

=محمّد الطاهر بن عاشور (من علماء القرن العشرين)؛ ود. زكي مبارك في: المدائح النبوية؛ وحاجي خليفة في: كشف الظنون؛ وابن عجيبة الحسني في: العمدة في شرح البردة؛ وغيرهم.

(1) محمّد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، (3/ 368).

على خادمه: يا ياقوت افْتَح الصندوق، وأَخْرِجْ قصيدة البوصيري وَأْتِ بها؛ فأتى بها، فأخذها سعد الدين، ووضعها على عينيه فعُوفِيَ، ومِنْ ثَـمَّ سُمِّيَت البردة»[1].

ويعلّق الباحث عبد الله أحمد جاجة على هذه الرواية بقوله: «وفي هذه القطعة دلالة على عقلية البوصيري، فهو رجل فيه طيبة وسذاجة، كأكثر الصوفية، فليس مِنَ المعقول أنْ يبرأ مريض مِنْ مرضه لآية يتلوها أو قصيدة ينشدها، كما برئ البوصيري بقصيدته، ولو مرض مفتي الديار المصرية ما استغنى بالبردة عن الطبيب»[2].

وقد سمّيت هذه القصيدة بأسماء كثيرة، منها: (**الكواكب الدّرّية في مدح خير البرية**)، لاشتمالها على مناقب الرسول ﷺ.

وسُمّيت أيضا بـ(**البرءة**)، لأنّ ناظمها برئ بسببها مِنْ علّته بعد فراغه مِنْ نظمِهِ إياها، لما جاء فيها من صدق الإيمان، وحسن الرجاء، وخالص التّضرّع، وإلحاح الدعاء إلى الله ﷻ، وصدق الثناء على الرسول ﷺ[3].

كما سُمّيت بـ(**البردة**) تيمّنا ببردة الرسول ﷺ، وتبرّكا ببردَةِ سلفه الشاعر كعب بن زهير[4].

---

(1) حاجي خليفة، كشف الظنون، (2/ 1331 – 1332).

(2) عبد الله أحمد جاجة، العمدة في إعراب البردة، (ص/ 17)؛ وانظر تعليقات القدامى والمحدثين حول بواعث نظم البردة في كتاب: قصيدة البردة للإمام البوصيري، دراسة وتحقيق: محمّد بن سمينة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، (2008م)، (ص/ 62 – 70).

(3) مقدمة ديوان البوصيري، (ص/ 29).

(4) رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1993م)، (ص/ 11)؛ وانظر: قصيدة البردة للإمام البوصيري، دراسة وتحقيق: محمّد بن سمينة، (ص/ 71 – 72).

أمّا سبب ذيوع قصيدة (**البردة**)، فيـرجعُـه الباحث علي نجيب عطوي إلى المغاربة الذين ينتمي إليهم الشاعر، وكان مِنْ دأب هؤلاء المغاربة - كما يقول هذا الباحث -: «أنْ ينتقلوا مِنْ مدينةٍ إلى أخرى، ومِنْ إقليمٍ إلى آخر، ليعملوا على نشرها في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي»[1].

أقسام البردة

قصيدة البردة من القصائد الطوال، وهي تشتمل في أصحّ الروايات على ستين ومائة بيت مِنَ الشعر[2]، والبوصيري لم يكن في قصيدته هذه نسيج وحده في اختيار هيكلها، إذ يبدو أنه تأثّر في ذلك بالشاعر الصوفي الذي عاش في مصر هو أيضا، عمر بن الفارض (تـ: 632 هـ)، ولعلّ ذلك ما لاحظه الدكتور زكي مبارك، حين حاول أن يُبَيِّنَ مدى التَّأَثُّر بين الشاعرين، فقال: «وأغلب الظّنّ عندي أنّ البوصيري استأنس بميمية ابن الفارض، ودليل ذلك تشابه المطلعين، فمطلع قصيدة ابن الفارض[3]: [البسيط].

هل نـارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْـلًا بذي سلم   أمْ بـارق لاح فـي الـزَّوْرَاءِ فـالـعـلـم

(1) علي نجيب عطوي، البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1995م)، (ص/ 128 -129).

(2) في كتاب العمدة في شرح البردة لابن عجيبة الحسني نجد عدد أبياتها اثنتين وسبعين ومائة، وفي شرح البردة البوصيرية لابن مقلاش الوهراني مائة وسبعون بيتا، وفي إظهار صدق المودّة في شرح البردة لابن مرزوق الحفيد مائة وسبعون بيتا أيضا، وفي العمدة في إعراب البردة لكاتب مجهول، تحقيق: عبد الله أحمد جاجة، مائة وستون بيتا، وفي الزبدة في شرح البردة لبدر الدين محمّد الغزي مائة وواحد وستون بيتا.

(3) سبق ترجمته.

أرواح نعمـان هَـلَّا نسمـةً سحـرًا   ومَـــاء وَجْــرَة هَــلَّا نـهـلــةً بِـفــــم[1]

أمّا مطلع قصيدة البوصيري[2]: [البسيط]

أمِــنْ تـذكُّـر جيـرانٍ بـذي سـلـم   مزجت دمـعـا جـرى مِـنْ مُـقْلـةٍ بِـدَمِ

أم هبّت الريح مـن تلقـاء كاظمـة   وأومض البـرق فـي الظلماء من إضم

فـ(ذو سلم)، و(هبوب الريح)، و(إيماض البرق) ممّا اشترك فيه الشاعران، مع وحدة الوزن والقافية[3].

ويضاف إلى ذلك قول ابن الفارض: [البسيط]

يـا لائِـمًـا لَامَنِي في حبّهم سفهـــا   كـفّ الـملام فـلـو أحببت لـم تَـلُـمِ[4]

وقول البوصيري: [البسيط]

يا لائمي في الهوى العُذري معذرة   مـنّـي إليـك ولـو أنصفت لـمْ تَـلُـمِ[5]

إنّ الذي يوازن بين خصائص هاتين القصيدتين معنًى ومبْنًى، يدرك وجه الشبه بينهما واضح في كثير من المقوّمات الأدبية والفنية (البنية العامة، المعاني الصوفية، التشكيل الفني والموسيقي)، وغير ذلك.

نخلص مِمّا تقدّم إلى أنّ تأثر البوصيري بابن الفارض بَدَا واضحا جلِيًّا، ويمكنُ أنْ نجملَ هذا التّأثر في مظهرين:

---

(1) ديوان عمر بن الفارض، (ص/ 59).

(2) ديوان البوصيري، (ص/ 190).

(3) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، (ص/ 183)؛ بدر الدين محمّد الغزي، الزبدة في شرح البردة، (ص/ 28 – 29)؛ عبد الله أحمد جاجة، العمدة في إعراب البردة، (ص/ 20 – 21).

(4) ديوان عمر بن الفارض، (ص/ 59).

(5) ديوان البوصيري، (ص/ 191).

الأوّل: في هيكل القصيدة بشكل عامٍّ، فقد أخذ الوزن فكان من البحر البسيط، وأخذ الروي فكان حرف الميم المجرورة.

الثاني: في بعض المعاني الصوفية، إذ نلمسُ بوضوح مشاعره الصوفية التي تسري في ثنايا قصيدته، مِنْ مَرَاق قدسية، ومقامات صوفية، كالتي تسْري معها في قصائد ابن الفارض.

يضاف إلى ذلك كلّه، اقتباسه كثيرا من الألفاظ والتراكيب والصور التي تظهر جليّة في قصائده.

أمّا بنيتها العامة، فتنقسم في جميع نسخها إلى عشرة أقسام، تختلف بعض عناوينها في بعض ألفاظها مِنْ قسمٍ إلى آخر، حسب دراستها، وهي كالتالي:

القسم الأوّل: في النسيب النبوي، من (1 – 12)

وسلك فيه مسلك الشعراء القدامى، في تقديم (**التشبيب**)، ويُسمّى: (**النسيب**)، وهو: «أنْ يذكر المادح ذكر المحبة والعشق، وذكر ما ينشأ عن الغرام مِنَ كثرة البكاء والحزن والسهر»، وحكمة ذلك: «تهييج الأسماع وتشويق القلوب إلى الممدوح»[1]، وهذا نوع مِنْ أنواع المحاكاة لصنيع القدامى في افتتاح قصائدهم.

و(النسيب) « تنفعل له النفوس، وترق القلوب عند سماعه، وتنشط لسماعه نشاطا زائدا، فلا ينتهي الناظم منه للتّخلّص للمدح إلّا والنفوس قد اجتمعت، والقلوب قد رقّت، والجوارح سكنت»[2]، وقد اتّخذ من ذلك وسيلة مِنْ وسائل التعبير عن عواطف حبّه ووجده وشوقه إلى أحبّته الذين يسكنون ديار (ذي سلم) و(كاظمة) و(إضم)، مِنْ أرض (الحجاز).

(1) ابن عجيبة الحسني، العمدة في شرح البردة، (ص/ 23).

(2) المرجع السابق نفسه، (ص/ 28).

القسم الثاني: في التحذير من هوى النفس: (13 – 28)

يتحدّث الشاعر في هذا القسم عن النفس الإنسانية، ويحذِّر مِنْ هواها، ومِنْ شرّها المستطير، فهي تمثّل المعاناة الشعورية والتجربة النفسية الخاصة للشاعر.

ولعلّ مردّ ذلك يعود إلى مُيولِه الصوفيَّة، لأنّ المتصوّفة هم أكثر الناس إدراكا لنزعات النفس، وأشدّهم حرصا على ترويضها، والسهر على استقامتها، والسموّ بها إلى أعلى المراتب(1).

ومن ثمّ صوَّر بدقَّـة ما جُبلت عليه النفس من طباع وميول، محذّرا إياها من وساوسها وغوايتها، ومن تهالكها على الدنيا، وتهافتها على زخرفها ومتاعها، حاثا إياها على الإقبال على ما يزكّيها، ويسمو بها إلى معارج الفضيلة.

القسم الثالث: في مدح الرسول ﷺ: (29 ـ 58)

ينتقل البوصيري مِنَ الحديث عن النسيب النبوي والتحذير مِنْ هوى النفس إلى الغرض الأصلي وهو المديح النبوي، مستهلاّ ذلك بذكر شمائله ومناقبه، وما تجلّى في سلوكه مِنْ مكارم وفضائل ومحامد، فذكر تهجّده، وتنسّكه، وزهده، وتواضعه، وكرمه، وشجاعته، وبرّه وإحسانه.

ثمّ يستطرد البوصيري في وصف الرسول ﷺ، فهو سيّد الكونين دنيا وآخرة، وسيّد الثقلين إنسا وجنّا، وسيّد الفريقين عربا وعجما، وهو الشفيع المُشفّع في كلّ الأحوال والأهوال، والداعي إلى دين الهدى والحق.

القسم الرابع: في مولد الرسول ﷺ:(59 – 71)

يقف البوصيري في هذا القسم عند أعظم حدث في تاريخ الإنسانية وهو مولدهﷺ، وما رافق ذلك من الآيات البيّنات، والعلامات الواضحات، والعجائب

(1) محمّد بن سمينة، قصيدة البردة للإمام البوصيري، (ص/ 78).

الخارقات، كتصدّع إيوان كسرى، وخمود النار التي كان الفرس يعبدونها، وهتاف الجن، وسطوع الأنوار بالشام، ممّا يدلّ على علوّ قدره، وشرفِ منزلته، وظهورِ أمره.

ولعلّ المرء يلحظ إشراقة الشاعر النفسية في وصف مولده، بعد أنْ أضناه المرض، وساوره العجز، وأضعفته الحاجة.

ويلحظ صاحب (الزبدة في شرح البردة) أنّ اهتمام الشاعر بهذا الحدث الديني البارز يعود إلى عناية المماليك ومَنْ سبقهم بالأعياد الدينية المختلفة، وخاصة المولد النبوي الشريف، فإذا أطال البوصيري وقفته عند المولد فما ذاك إلّا لأنّه يعبّر عن عصره، وعن الأحوال الفكرية والاجتماعية والدينية السائدة فيه[1].

القسم الخامس: في معجزات الرسول ﷺ:(72 – 87)

يركّز البوصيري حديثه في هذا عن معجزات النبي ﷺ التي أظهرها الله على يديه، ورافقت دعوته، تحدّيا لمنكريها وجاحديها، والتي أخذت حجّيتها من القرآن الكريم ومِنَ السّنّة المطهّرة.

ومِنْ بين هذه المعجزات: الشجرة التي جاءته تسعى، ثمّ سجدت بين قدميه، انشقاق القمر، حديث الشاة المسمومة له، زيادة الطعام ببركته، حنين الجذع إليه، الغمامة التي كانت تظلّله مِنْ حرّ الهاجرة، وغير ذلك.

القسم السادس: في شرف القرآن الكريم:(88 – 104)

يصل البوصيري في هذا القسم للحديث عن كبرى معجزات الرسول ﷺ وهي القرآن الكريم، والكتاب المعجز المبين، الذي تحدّى به الله الكفّار والمشركين، وهي المعجزة الدائمة الخالدة بصدق تعاليمها وسموّ بيانها، وجلال كلماتها، ونبل معانيها.

(1) انظر: بدر الدين محمّد الغزي، الزبدة في شرح البردة، (ص/ 12).

وقد وقف البوصيري هنا موقف الذائد عن حمى القرآن، ينافح عنه بلسانه وبيانه، «ويناقش خصومه بصوت العقل وحُجّة المنطق حينا، وباختلاج العواطف والمشاعر حينا آخر، فاجتمع له معا، العقل والشعور في هذا القسم مِنَ القصيدة»[1].

القسم السابع: في معجزة الإسراء والمعراج: (105 - 117).

استهلّ البوصيري حديثه عن هذه المعجزة بمدح الرسول ﷺ، مشيدا بمقامه الرفيع ومكانته العالية، فهو الآية العظمى، والنعمة الكبرى، والمنهل الصافي، ثمّ يمضي في تصوير هذه الرحلة المباركة التي تبدأُ بالإسراء من البيت العتيق بالبلد الحرام، إلى بيت المقدس، ويشبّه إسراءه بإسراء القمر في الظلمات، ثمّ ذكر تمجيد وتقديم الأنبياء والرسل له، واختراقه السماوات السبع، فحاز بذلك كلّ عزّ وفخار، فهو أكرم الرسل، وأمّته خير الأمم.

القسم الثامن: في جهاد الرسول وغزواته: (118 - 139)

ينتقل البوصيري بعد قصة الإسراء والمعراج، للحديث عن صفحة مشرقة مِنَ حياة الرسول ﷺ وهي جهاده ونصرته لدعوة الحق التي جاء بها، وذلك انطلاقا من قضية الصراع الأبدي بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والخير والشر.

وأورد في هذا السياق ذكر بعض غزواته في بَدْر وأُحُدٍ وحُنَيْن، مستعرضا مجموعة مِنَ المشاهد الحية في ساح الجهاد، وما أبداه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من شجاعة وثبات، وما طبع مواقفه مِنْ حكمةٍ وتبصّر في إدارة المعارك والغزوات، وفي الصبر والتضحيات في سبيل تبليغ دعوته إلى الناس أجمعين، وإخراجهم مِنَ الظلمات إلى النور بإذن الله.

(1) المرجع السابق نفسه، (ص/ 22).

القسم التاسع: في التّشفّع والتّوسّل بالنّبي ﷺ: (140 – 151)

يذكر البوصيري في هذا القسم أنّه خدم النبي ﷺ وتوسّل إليه بمدحه والثناء عليه، وذكر صفاته الحميدة، وشيمه الفاضلة، ومناقبه الزكيّة، ومعجزاته الباهرة، وهو يبتغي بذلك العفو عن ذنوبه الماضية، وأوزاره السالفة، وزلاّته السابقة، التي لم يجن منها غير بقايا الإثم وحسرات الندم، ومِنْ ثم استبداله مدح المخلوقين والسعي في مرضاتهم طمعا فيما عندهم مِنْ حطام الدنيا، بمدح سيّد الكونين، وأكرم الثقلين.

القسم العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات والصلاة على إمام الهداة:(152 – 160)

لعلّ نبضات اليأس التي كانت تصارع الشاعر فيما سبق أرجعته إلى مناجاة ربّه والتّضرّع إليه، راجيا عفوه ومغفرته، معطّرا هذه المناجاة بصادق التّشفّع، وخالص التّوسّل، وأزكى الصلاة، وأتمّ السلام على خير الأنام، نبيّ الإسلام.

هي نداءات ثلاث: للرسول (**يا أكرم الرسل**)، وللنفس (**يا نفس لا تقنطي**)، ولله تعالى (**يا ربّ**)، تتغلغل في باطن الشاعر لنقرأ قصّة النفس البشرية في صراعها المرير مع الحياة، وتشوّقها إلى الذاتِ الإلهية إنها: قصّة المناجاة الروحية... قصيدة البردة.

الأبعاد الصوفية في قصيدة البردة

التصوّف: هو «انصراف العبد إلى الزهد والعبادة، والاتّصال الروحي بالله تعالى والتفاني في حبّه»، وهو كما يقول ابن خلدون : «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»[1].

فالتصوف هو نوع من السلوك الديني التعبدي الذي يقوم على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكل سلوك تعبدّي خالف ذلك فهو ليس من الصوفية الحقّة في شيء.

(1) ابن خلدون، المقدمة، (ص/ 467).

إنّ هذا اللون من السلوك الديني التعبدي الذي يقوم على التوازن بين الروح والمادة، بين حياة الدنيا وحياة الآخرة، هو عينه أسلوب الزُهد القائم على توجيهات وتعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، و آراء علماء السلف، وهو ذاته سلوك الصحابة في عصر الرسول ﷺ، وسلوك التابعين من بعدهم.

وقد ارتبطت المدائح النبوية ارتباطا وثيقا بالفكر الصوفي، وصارت مظهرا من مظاهر أدبيات هذا الفكر، بفضل ما يتخلَّل تلك الأدبيات من لمحات صوفية، تُنْبِـئ عن شفافية روح قائلها وانتمائه إلى حياة التصوف، يغذيهما روح الإرشاد والوعظ والنصح والتوجيه، فضلا عن عنصر العشق الإلهي والحبّ المحمّدي.

وإذا كان هناك من ارتباط وثيق بين المدائح النبوية والتصوف، فضلا عن التشابه الشديد بينهما، فإن أهمّ ما يربطهما التّغنّي بالأماكن المقدّسة تشوّقا إلى ساكنها عليه السلام، ثم التّغنّي بالحقيقة المحمّدية أو النور المحمّدي، فما من شاعر متصوف إلا وردّد في أشعاره هذه الفكرة وروّج لها، هذا بالإضافة إلى التركيز على شخصية الرسول ﷺ، ثم عنصر المعجزات باعتبارها جزءا لا يتجزأ من شخصيته، وأخيرا التّوسّل والدعاء والتّضرّع وطلب الشفاعة وغيرها من المعاني الصوفية الأخرى.

وإذا كان هذا هو حال المدائح النبوية والتّصوّف، فما نصيب قصيدة (**البردة**) منه، وما حظّها في ذلك؟.

تأتي قصيدة (**البردة**) على رأس المدائح النبوية، ومن القصائد الرائدة في مجال التصوف، وفي مجالس الأذكار، ومن أكثرها حضورا في كتب الأدب والتاريخ والأخبار، وتأتي ريادتها فيما تضمّنته من عناصر صوفية، وأبعاد روحية، وتأثير إيماني في نفوس الناس وفي سلوكهم وفي جميع وجوه حياتهم.

لقد كان للبردة – بما تميزت به من سمات وخصائص، وبما توفر لها من القيم الدينية والخُلقية والتربوية والتاريخية والأدبية والإنسانية – المكان الأسمى والمقام

المحمود والمنزلة الكبيرة في قلوب أفراد الأمة، وفي مختلف وجوه حياتهم، مما عرفه ديوان المديح النبوي الشريف من أعمال في الأدب العربي قديمه وحديثه.

وما كان لـ(بردة البوصيري) أنْ تنال ما نالته من التقديس والشهرة والريادة بين سائر قصائد الشعر النبوي لولا أنّ الشاعر أنشدَها بين يدي رسول الله ﷺ في رؤيا رآه في منامه، فقد أصبح هذا العنصر الأكثر سيطرة على رجال الصوفية فيما بعد، إذ أغلبهم صار يحكي من خلال منامه تجربته بملاقاة رسول الله ﷺ، ومشاهدته في لحظة النوم، فاتّخذوا من تلك الرؤية دافعا ومحرضا قويا على نظم المدائح، تماما كما حصل للبوصيري ولغيره قبله، وهذا فيه من دلالة على المدد النبوي الذي كان يحتله في ذهن ناظم هذه القصيدة النبوية الشريفة، أضف إلى ذلك إلهام النبي ﷺ فيما تذكره بعض الروايات الصوفية في نظم البردة[1].

ومن الأبعاد الصوفية الأكثر بروزًا في قصيدة (**البردة**) بُعْدُ النَّسِيب النبويِّ الذي يتصل بالإفصاح عما يكابده الشاعر من شوق ووجد نحو الرسول ﷺ، بما في ذلك الأماكن المقدّسة والمعالم المطهرة.

وهذا (النسيب) هو نسيب رمزيّ، مفعم بالشوق إلى (مكّة) التي شهدت مولد الرسول ﷺ ونشأته، واحتوى مراحل حياته قبل البعثة وبعدها، فكانت ربوعها تمثل الشهود الباقية على تلك المراحل الناطقة بلسان حالها عن فترة من أهم فترات التاريخ الإسلامي.

ولم يكن هذا اللون من النسيب عند الشاعر، وعند أضرابه من شعراء المديح النبوي يقصد لذاته، لأنه لم يكن من الغزل المادي الصريح الذي يحرص فيه بعض الشعراء على وصف محاسن المرأة و تصوير صبواتهم الحسّية، و إنما كان ذلك النسيب يعبر عن حرقة وشوق عظيم لصاحب المقام المحمود، بل هو لون من ألوان التعبير العفيف الذي يسبق الحديث عن أصدق مشاعر الحب الصادق، وأسمى عواطف

(1) انظر: سعيد بن الأحرش، بردة البوصيري بالمغرب والأندلس، (ص/ 538).

الودّ، وأبلغ عبارات الإخلاص وأجلّها وأصفاها لأفضل الخلق جميعا، وأكرمهم وأحبهم عند الله.

لقد فجَّر الشعور الديني الملتهب نحو تلك الأماكن طاقات الشعراء، وفَتَقَ مواهبهم، وانعكس ذلك أكثر على ألسنة الصوفية في عبارات التكبير والتهليل عند مشاهدتها أو ذكرها، وفي ألفاظ اللثم والتقبيل والاغتباط، فقد أخذت هذه النجوى مثلا من قصيدة (**البردة**) نحو اثني عشر بيتا، عبَّر فيها الناظم عمَّا يكابده من سَهَرٍ وشوْق وحنين مفعم بحب أزليّ عظيم.

مِنَ الأبعاد الصوفية الأخرى التي ركّزت عليها (**البردة**)، ويركز عليها الصوفية جميعا، التحذير من هوى النفس وغواية الشيطان، ففي القصيدة حديث عن الشيب والشباب وبكاء الأيام التي قضاها الشاعر في اللهـو، والأسف على الزمن الذي أنفقه بسخاء في ارتكاب المعاصي، واقتراف الآثام، وقد استطاع الناظم أنْ يعرض وبمهارة، دسائس النفس الإنسانية وأعوانها: (إبليس، الشيطان، والهوى)، فحذر منها أيُّما تحذير، وشبه النفس بالطفل الرضيع، كما أشار في هذا القسم إلى بعض أرائه الدينية، فذكر أن أداء الفرائض فقط لا يصل بالإنسان إلى منازل الأصفياء البررة، ومراتب الأولياء الصلحاء.

وممّا تجمّع في (**البردة**) من عناصر التّصوّف وأبعاده، عنصر تمجيد شخصية الرسول الكريمة ﷺ والتعرض إلى جوانبها المتعددة، سواء ما تعلق منها بالحقيقة المحمّدية والمعجزات، أو ما تعلّق بالجوانب العامة العادية، كتهجّده، وزهده، وتقشفه، وعزة نفسه.

ويستطرد الناظم في هذا القسم فيصف الممدوح فهو سيد الكونين، دنيا وآخرة، وسيّد الثقلين، إنسا وجنا، وسيد الفريقين، عربا وعجما، وهو الشفيع المشفع عند كلّ الأحوال والأهوال.

ولا يلبث بعد ذلك أنْ يفضّل الرسول عليه السلام على المرسلين في الصفات والذوات، والأخلاق والعلم والكرم، فهم من هذه النواحي لا يدانوه فيما أتاه الله، والناظم في كل هذا متأثر بالصور الشائعة في التراث الإسلامي المترسّخ في أذهان العامة وأخيلتهم وما يجري على ألسنتهم، فلم يخرج عن هذين المصدرين العامين.

وقد زاوج الشاعر هنا بين الحديث عن الصفات المعنوية لخير البريّة ﷺ وبين صفاته المادّية، أي بين الصورة الخُلُقية وبين الصورة الخَلقية ممّا يحسن الإشادة به وإبرازه والحث عليه والدعوة إليه.

بعد هذا بنتقل الشاعر إلى التحدث عن المولد النبوي، ناهيك عن أهمية هذا الحدث الديني في عصر الناظم، فقد عني المماليك ومثلهم المرينيون وبنو الأحمر وبنو زيان والحفصيون بذكرى المولد النبوي الشريف، فإذا أطال البوصيري وقفته عند المولد فما ذلك إلا لأنه يعبّر عن العصر، وعن الأحوال الدينية والروحية السائدة وقتئذ.

إنّ حديث البوصيري عن المولد النبوي الشريف فيه إشْرَاقَة الأمل في قلب المتصوّف، وبارقة خير في امتصاص الألم واليأس والضعف الذي ملأ ذاته أمدا مِنَ الدهر.

كما أشار البوصيري أثناء مدحه للرسول ﷺ إلى فكرة النور المحمدي، أو الحقيقة المحمدية التي انتشرت وبشكل واسع في البيئات الصوفية، وخاصة في التراث الصوفي.

هذا، وقد تأثر الشاعر كثيرا بما حرصت كتب السيرة النبوية على ذكره من الإرهاصات التي سبقت البعثة، فطاف الشاعر بخياله بين السماء والأرض، والإنس والجن، والنور والظلام، والكفر والإيمان.

ويميز هذا القسم طغيان طابع الانفعال الحقيقي، انفعال وشعور المتصوّفة المتزهّدين الناكسين، الذين أقعدهم المرض، وأثقل نهضتهم اليأس من العلاج، فهم

يحاولون التسامي بخيالهم في الآفاق النبوية، ينتقلون وهم العاجزون، في المعارج السماوية.

كما نلمح تأكيد الشاعر على ميوله الصوفية الصادقة التي بدت واضحة - في خاتمة قصيدته - في مناجاته لربّه، و تضرّعه إليه، والرّجاء في عفوه ورحمته، مضيفا إلى هذا الجو الروحاني مزيدا من آيات الصدق، و مشاعر الحب النقي الخالص، والتجلّي في فضله العظيم، وخيره العميم، ونوره الذي عمّ جنبات الأرض كلها، بل الكون كلّه.

ولعل هذا الانفعال بالذات هو الذي بدَّد من نفس الشاعر ذلك اليأس القاتل، والتشاؤم المرير، والإحساس بعظم الزلاّت، وكبائر الآثام، وكثرة الأهوال، فانحنى خاشعا متضرّعا لجلال مولاه، راجيا عفوه ورضاه، مُصليًا على خير مَنْ سعت به قدماه، في دنياه وأخراه، إلى غير ذلك من المضامين الصوفية الأخرى التي امتلأت بها جنبات القصيدة وفاضت عنها.

وإذا كان مِنَ الصعوبة بمكان التعرض لجميع ما ذكره البوصيري وصدر عنه في **(بردته)** من مظاهر التصوف وملامحه، فإنّه يجب التركيز في هذا المقام وذكر عنصر هامٍّ - أشرنا إليه فيما تقدم - يعتبر من العناصر الأكثر خطورة في المنظومة الصوفية، إنه عنصر الندم، والتوسّل، وطلب التوبة، والشفاعة والرجاء، فقد أصبحت هذه الأمور من المضامين الصوفية الأكثر إثارة، والأشدّ وقْعا على نفوس المتصوفة من غيرها من المضامين الأخرى، لِمَا لها مِنْ علاقة متينة بسلوكهم في حياتهم الروحية، وممارساتهم الصوفية ومجاهداتهم المستمرة.

الخاتمة

يكاد يجمع معظم الدارسين لفن المديح النبوي على أنّ البوصيري يُعَدّ في مقدمة نهوضا بهذا الفن، ومِنْ أكثرهم وفاءً لخصائص منهج المديح وسماته، وتأتي قصيدته الشهيرة والموسومة بالبردة من أحسن وأفضل ما جادت به قريحته من سمو في المعاني، وصدق في المشاعر، وجمال في التعبير، ونبل في القصد، ومِنْ أشدّها تأثيرا في قلوب عامة الناس وخاصتهم.

وتبدو قصيدة البردة وحدة متماسكة في أفكارها، صادقة في عواطفها، محكمة في صياغتها، نبيلة في مقصدها، وقد تجلت في منابعها أجمل معاني الصوفية من صدق الإيمان، وخالص التقوى ، وحسن البيان، وجميل التضرّع إلى الخالق العظيم.

والمتأمل في ثنايا هذه القصيدة يحسّ بالمشاعر الصوفية العميقة تسري في كل جنباتها، بل في كل كلماتها ومعانيها، بل في كل مشاعرها وقيمها التعبيرية، ألفاظا وتراكيب، صورا و أساليب، لتأخذ مكانة متقدمة بين قصائد المديح النبوي على امتداد عصور تاريخ الأدب العربي.

قائمة المصادر والمراجع

1-الأدب في التراث الصوفي: محمّد عبد المنعم خفاجي، [ت1427هـ/ 2006م] مطبعة القاهرة، مصر، (1983م).

2- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني [ت 739 هـ]، شرح و تعليق عبد المنعم خفاجة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة، (1975 م).

3- بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، آثارها العلمي وشروحها الأدبية: سعيد بن الأحرش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، (1998م).

4- البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها: علي نجيب عطوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1995م).

5 - البنية اللغوية لبردة البوصيري: رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1993م).

6- البوصيري: محمّد الشاذلي النيفر، [ت1418هـ/ 1997م] الشركة العالمية للفنون والرسم، تونس، (د - ت).

7- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، [ت255هـ/ 868م] تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، (د- ت-ط).

8- التبيان في علم المعاني والبيان والبديع: شرف الدين حسين بن محمّد، تحقيق: هاني عطية، عالم الكتب، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، (1987م).

9- تشطير البردة للإمام البوصيري: عبد العزيز محمّد بك، مطبعة دار الكتب المصرية، مطبعة القاهرة، مصر، (1934م).

10- ديوان ابن الفارض: [ت632هـ/ 1235م] تحقيق عبد الخالق محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، (2007م).

11ـ ديوان البوصيري، تحقيق،[ت696هـ/ 1296م] محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، (1973م) .

12- ديوان حسان بن ثابت: [ت بعد50هـ/ 674م] شرح عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، (1994م).

13- ديوان كعب بن زهير:[ت.../ 645م] تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

14- الزبدة في شرح البردة: بدر الدين محمّد الغزي، [ت984هـ/ 1577م] تحقيق عمر موسى باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1972م).

15- السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزي، [845هـ] تحقيق: مصطفى زيادة وسيّد عاشور، مطبعة القاهرة، مصر، (1326 هـ).

16- شرح البردة البوصيرية، الشرح المتوسط: عبد الرحمان بن محمّد المعروف بابن مقلاش الوهراني، دراسة وتحقيق: محمّد مرزاق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (2009م).

17- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي [ت 745 هـ/ 1382 م]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1982 م).

18- طراز البردة: محمّد كامل عبد العظيم، مطبعة مصر، (1957م).

19- العمدة في إعراب البردة، مؤلف مجهول، تحقيق عبد الله أحمد جاجة، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (2002 م).

20- العمدة في شرح البردة، لابن عجيبة الحسني، [ت/ 1216هـ/ 1224م] تحقيق عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (2011م).

21- فوات الوفيات، محمّد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

22- قصيدة البردة للإمام البوصيري: تحقيق ودراسة أحمد بن محمّد بن محمّد العطوي بن سمينة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، الطبعة الأولى، (2008م).

23- قصيدة البردة ومعارضاتها: محمّد بوذينة، منشورات محمّد بوذينة، الحمامات، تونس، الطبعة الأولى، (1994م).

24 -الكواكب الدّرّية في تراجم السادة الصوفية: زين الدين عبد الرؤوف المناوي، [ت1031هـ/ 1622م] تحقيق: محمّد أديب الجادر، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، (1999م).

25- المدائح النبوية في الأدب العربي: زكي مبارك، مطبعة مصطفى الباب الحلبي و أولاده بمصر، القاهرة، (1935 م).

26- المعجم المفصّل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني إنعام فوّال عكّاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، (1996م).

26- معجم أعلام شعراء المدح النبوي: محمّد أحمد درنيقة، منشورات ومكتبة دار الهلال، بيروت، لبنان، (2003 م).

27- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1993م).

28- النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية: الشيخ حسن العدوي الحمزاوي، [ت 1303هـ/ 1886م]، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (2005 م).